ان كنت ذا جهل فعلمك واسعٌ او كنت ذا بغض فبغضك اوسعُ
حبب نورك في الوجود فان ذا عين مطلع ادناك منهُ مطلعُ
كم ضيعتك الحادثاتُ بليلها ثم اهتديت به فلستَ تُضيَّعُ
ارفعْ حجاب البغض عنك و بعدهُ عمّ السلام على ربوعك يُرفعُ
ان تمنع الاخلاق عنك دوامهُ فشرائع الاحسان ليست تمنعُ
الحب حق للوجود مقدس تتزعزع الدنيا ولا يتزعزعُ

الدكتور نقولا فياض

مصر منذ تسعين سنة

(٨)

قصر محمد علي باشا في شبرا

ورجعت من جزيرة الروضة الى منزلي فرأيت منصور القبطي وزوجتهُ قد عنيا بترتيب الامتعة والغرف وتنظيفها . اما الجارية فكانت مستلقية على الديوان والخادم البربري يدخن في صحن الدار والدجاج تسرح حولهُ وهي تلتقط الحبوب . واما مصطفى الطباخ فخرج في غيابي ولم يعد وقد توهم اني احضرت القبطي بدلاً منهُ فاصحب من تلقاء نفسهِ وهي عادة جارية هنا متبعة بين الخدم ولذلك يتناولون اجورهم يوماً فيوماً فاضطررت ان اكلف القبطي وزوجتهُ الاهتمام بالطبخ ولكني علمت في المرة الاولى انهما يجهلان هذه المهنة جهلاً تاماً ولا يعرفان منها سوى سلق الخضار والحبوب وطبخها بالماء والزيت حتى ان الجارية نفسها لما ذاقت الطعام الذي طبخاهُ اشمأزت نفسها وامتنعت عن الاكل واشتد بها الغيظ واوسعتها سباً وشتماً . فاستأت جداً من عملها هذا واهانتها العجوزين المسكينين اللذين توليا امر الخدمة واراحاها من عناء العمل في كل الشؤون المنزلية فقلت لمنصور ان يفهمها ان دورها جاء لتتولى بنفسها امر الطبخ فكان هذا الطلب غير المنتظر كصاعقة سقطت عليها فثار سخطها واشتد غيظها واوسعتنا كلنا لوماً وتقريعاً والتفتت نحو منصور وقالت لهُ

قل لسيدي اني لستُ « أودالك » بل « قادن » وفسر لي منصور معنى كلامها اي انها ليست خادمة بل سيدة وقالت ايضاً انها ستشكوني للباشا . فصرختُ مغضباً

التهدلي ومدخل الباشا في اموري البيتية . اشتريت جارية لتقوم بخدمتي المنزلية وهذا الامر غير ممنوع في قوانين البلاد

فقالت انها محقة ولها الحق ان تطلب من الباشا ان يطلق لها الحرية اذا كان من اشتراها يرهقها ظلماً و يقسرها على عمل اعمال حقيرة . وقال منصور لي ارى انها مصيبة في زعمها واسمح لي يا سيدي ان اقدم لك مشورة صالحة — لا تجرح عواطفها والاَّ فلا يهنئ لك ان تعيش معها براحة وهناء ووفاق

فرأيت ان مشورتهُ هذه لا تخلو من الفطنة والصواب فقلت لهُ قل لها اذاً اني لم اقصد سوى المباسطة والمزاح . ولكنها اخطأت كثيراً في اظهارها الحدة والغيظ وتوجيهها لك ولزوجتك الاهانة والفاظ السباب وانهُ يجب ان تعتذر عما بدر منها نحوكما وتظهر الاسف على ما فرط منها من الخفة والطيش

فترجم لها كلامي كما لا اشك ترجمة يؤخذ منها عكس المراد اي انهُ هو نفسهُ يترضاها ويطلب منها الاعتذار . لاني رأيتها تبسمت سروراً وضحكت وسمعتها بشراً

فمات بعد فترات الوقت وحيث العلم لا يفيد شيئاً والندم لا يجدي نفعاً اني اخطأت كثيراً في مشترى هذه الجارية الغريبة عني وطناً ولغة وجنساً وآداباً . ورأيت رغماً عني انهُ يجب ان ارضخ لحكم القدر كما يقولون واتحمل نفقات باهظة ربما ارزح تحت ثقلها . عجباً من احوالك مصر الغريبة تركت الفندق واستأجرت منزلاً خصوصياً رغبة في الاقتصاد وراحة المعيشة وحتى يتسنى لي الاختلاط بالقوم . فلم يسمح لي بالاقامة فيهِ الاَّ اذا كان عندي امرأة مهما كانت حالتها . فصدمت الزواج فقيل لي يجب ان ترتبط بهِ ارتباطاً دينياً ومدنياً كل ايام حياتك وتدفع مهراً فوق طاقتك . ثم اضطررت ان اشتري جارية غريبة عني وبيني وبينها فرق شاسع في العوائد والاداب لا اعلم كيف آكلها او ماذا اطعمها او اي زي ألبسها او اي طريقة اسلك معها . واضطررت لاجلها ان انفق نفقات باهظة لفرش البيت واستئجار طباخ وخادم وبربري وكل ذلك لكي اقتصد في نفقات الفندق مع ان نفقاتي الحاضرة بلغت حداً عظيماً زعزع مالي . واخيراً قلت لمنصور ان يهتم باس اعداد الطعام الى ان نجد طباخاً موافقاً وان يقول لزينب انها لما كانت « قادن » اي سيدة رفيعة المقام تأنف عمل اعمال حقيرة فيجب عليها ان تتعلم لغتي الفرنسوية وتأخذ كل يوم درساً حتى يمكننا التفاهم معاً

فاظهرت الارتياح والسرور من هذا الطلب وفي الحال بدأت اعلمها الحروف الهجائية

والقنها بعض اسماء وجمل كثيرة الاستعمال فاظهرت الرغبة في الدرس الا انها لم تكن تحسن النطق ببعض الحروف فكانت تلفظ الجيم زايًا . وكم كنت اضحك منها حينما كانت تقول « زي سوي سوفاز » بدلاً من « جي سوي سوفاج Je suis sauvage » اي انا همجية متوحشة . علمتها هذه الجملة بقصد المزاح ولما فهمت معناها لم تظهر الغيظ بل بالعكس كانت تصفق بيديها فرحًا وتنادي منصور وتقول له وهي تضحك مسرورة « زي سوي سوفاز »

ولما اردت ان اعلمها كتابة الحروف رأيت صعوبة كبيرة في ذلك ومرة اخذت القلم وبدأت تخربش على الورق خطوطًا ودوائر غير منتظمة وقالت لمنصور . قل لسيدي اني تعلمت الكتابة فظنت بسذاجتها ان قد يمكن استخراج معانٍ من تلك الخطوط المخربشة

ولما رأيت حسن انقيادها ونشاطها في الدرس اردت ان اكافئها بقضاء بعض رغائبها ولكنها كانت كثيرة فطلبت اولاً حجرة من الحرير حتى تظهر « كهانم » لا كفلاحة وخادمة وطلبت ان تلبس حذاء اصفر « بابوج » ولكني رأيت هذا النوع من الحذاء يجعل منظر المرأة قبيحًا اذ تظهر رجلاها كبيرتين ضخمتين . ثم طلبت ثوبًا من حرير اخضر « بلك » وغير ذلك من المطالب على عادة النساء فوعدتها باني لا اغفل عن قضاء رغائبها هذه اذا رأيت منها طاعة وانقيادًا فاظهرت ارتياح والارتياح

وفي اليوم التالي ذهبت الى مكتبة مدام بونوم وقضيت بضع ساعات في المطالعة . ولما رجعت الى منزلي وصعدت الى الدور الاعلى نهضت زينب لاستقبالي وبدأت ترقص وهي تدور حول الغرفة وتصفق بيديها وتصرخ « الفيل الفيل الفيل . يا عيني الفيل » . فدهشت كثيرًا وظننت ان قد مسها عارض جنون واختل عقلها فدعوت منصورًا وسألته عن هذا الامر المستغرب وماذا جرى لجارية فاجابني بعد ان سألها : ان ستي تريد ان تتفرج على الفيل . قلت واين هذا الفيل . قال في قصر الباشا بشبرا . قلت ومن اين علمت به . قال من الجارات . قلت وكيف اتصلت بهن . قال من السطوح والشبابيك . فلم ار من الفطنة ان احرمها من هذه الرغبة وقلت لمنصور ان يقول لها اني مستعد لاتمام رغبتها مكافأة لها على ما رأيته من اجتهادها واجتهادها في الدرس

وقصدت من جهة اخرى اغتنام هذه الفرصة للتفرج على قصر محمد علي وحدائقه

المشهورة وفي الحال استدعيت بعض الحمارة وركبنا وخرجنا من القاهرة واجتزنا بوابة كبيرة مصفحة بالحديد ومدعومة بجدران عالية وابراج شاهقة من عهد سلاطين مصر (باب الحديد) وعلى مقربة من هناك جسر فوق ترعة الخليج الناصري المحيط بالمدينة غرباً فاجتزنا فيه الى مروج خضراء في طريق تتخللها البحيرات والبرك حولها الرياض والحقول الخصبة والنياض وطريق شبراً من احسن متنزهات القاهرة وهي طويلة تمتد الى مسافة بضعة اميال غرباً الى مجرى النيل الاعظم وعلى جانبيها اشجار الجميز الضخمة تظلل اغصانها الكثيفة تلك الطريق وتلطف حرارة الشمس المحرقة وبين كل مسافة واخرى قهوات ومتنزهات على الجانبين في وسط حدائق غناء ومروج خضراء وبساتين فيحاء . وفي مساء ايام الاحاد ترى هذه الطريق غاصة بالمتنزهين والمتنزهات واكثرهم من الافرنج والارمن والارورام والسوريين . والنساء منهن لا يرفعن الحجاب عن وجوههن الا متى عرجن على الحدائق فيجتمعن فيها زرافات تحت ظلال الشجر . ورأيت متنزهات شبرا من احسن متنزهات العالم . فاشجار الجميز والابنوس والصفصاف والكافور متصلة بعضها ببعض على الجانبين حتى الترعة الشبرارية . شبرا البلد والمروج من الجانبين خضراء زمردية مزروعة قصب سكر وذرة . ومن اليسار على مسافة ميل حدائق وبساتين زاهرة تتصل بضفة النيل الشرقية

وعند منتصف الطريق « كازينو » في داخل بستان مغروس بالاشجار المثمرة وفيه بركة وفساقي جميلة تفيض منها المياه بشكل بديع وخرير مطرب يمتع النفوس ويشرح الصدور . وحول هذا البستان حقول الرز والذرة وقصب السكر . ويؤم هذا المتنزه البديع كثيرون من اهالي القاهرة وبينهم ضباط وباشاوات مشاة وركباناً . والنساء يجلسن تحت ظلال الشجر زمراً زمراً مع اولادهن

وعلى مسافة قريبة من هناك سور عالٍ يمتد مسافة ميل داخلهُ قصر عظيم جميل البناء وحولهُ حدائق غناء تزري بحدائق قصر اللوفر في باريس . وهذا القصر لمحمد علي باشا حاكم مصر الآن . فاذن لنا الحاجب في الدخول الى الحديقة ورأينا داخلها فيلاً ابيض معروضاً للفرجة . وهذا الفيل النادر الوجود اهدتهُ الحكومة الانكليزية الى محمد علي باشا مقابل اثر تاريخي او مسلة قديمة اهداها لها . فاظهرت زينب السرور والفرح عند ما رأت هذا الفيل الابيض حتى انها لم تمالك ان تصفق يديها جذلاً كأنهُ بذكرها بفيلة بلادها . وكان حول نابيهِ حلقات من الفضة وحارسهُ الهندي يروضهُ على حركات والعاب مختلفة

فاتى بحركات معيبة لم ارَ من اللياقة ان تمثل امام النساء واشرت الى زينب ان قد انتهت الفرجة فلتتبعني . وكان بين المتفرجين احد الضباط او الحرس فصرخ بلغة ايطالية سقيمة آمبناتي سنيوري «انتظر يا خواجا» منبهة اخرى فان هذه الالعاب تبسط لها قلوب النساء . فاجبته باللغة الفرنسوية وتكون شركاً لاخلاقهنَّ الساذجة ومفسدة لآدابهنَّ . ويظهر انهُ لم يفهم مغزى كلامي وما فيهِ من التعنيف فضحك مقهقهاً وضحكت النساء لضحكهِ

ثم خرجنا من هناك واستأذنا في التفرج على القصر ولما كان رفتئذٍ خالياً والباشا مقيم في قصر القلعة سمح لنا بالدخول

وهذا القصر بمثابة مقصف بديع الشكل ليس فيهِ شيء من ضخامة البناء وفخامة المنظر وهو من طبقتين ارضية وعلوية فالارضية « سلاملك » والعلوية لسكنى حرم الباشا وهو قائم على ضفة النيل مقابل سهول امبابه المشهورة بنكبة المماليك . فالطبقة الارضية بهيئة كشك بديع جميل المنظر باعمدة من رخام وداخلهُ مخادع وغرف وقاعات كثيرة فسيحة مزخرفة فاخرة الرياش منها ما هو مأوى للطيور والعصافير النادرة كالحجل والببغاء والدرة والكناري والطاووس . ومنها مخادع للغسيل والحمامات . ومنها قاعات للالعاب الرياضية والبلياردو . اما مخادع الاستقبال والنوم والاستراحة فمفروشة بافخر الرياش والمقاعد الحريرية والاسرة والكراسي المذهبة وفيها من الفخفخة والابهة ما هو حقيق بسكنى الامراء والملوك . وجدرانها مزخرفة بالنقوش والمرايات الكبيرة وصور الفياض والبحيرات والرياض والغابات من ريشة امهر المصورين الاوربيين . وبالاجمال فكل الجدران والسقوف مزخرفة بمناظر طبيعية بديعة من انهار وتخيل واشجار وبحيرات ومراكب تائهة شراعها في الفضاء الاَّ انهُ ليس بين تلك الصور صورة انسان واحد . وبين تلك الصور رسم بحر يعجُّ بالسفن الحربية وعليها الاعلام العثمانية واليونانية تمثل المعركة البحرية التي قام بها الاسطول المصري في المورة بقيادة ابرهيم باشا . ومن الغريب ان ليس في تلك المعركة صورة آدمي واحد كأن المراكب والمدافع كانت تتحرك وتطلق القنابل من نفسها

وبين هذه المخادع قاعة كبيرة للاستقبال مفروشة بافخر الرياش جعلها الباشا مقرَّاً للاحكام فيجلس فيها للحكم في ايام مخصوصة ولسماع شكاوي الناس وفي صدرها لوحة كبيرة مكتوبة فيها آية حكمية بحروف عربية جميلة مذهبة

ثم جئ في تلك الحدائق النضرة والبساتين الزاهرة وهي على اقسام مختلفة بديعة الترتيب والوضع والتنسيق غرست على الطرز الايطالي يعنى بحفظها وغرسها وتنسيقها بستانيون ايطاليون . فدخلنا اولاً الى بستان الورد وفيه كل اصناف الورد في العالم . وفي الفيوم ايضاً بساتين كثيرة للورد العطري انزاحة يستخرج منهُ مقادير عظيمة من عطر الورد ومن ورد شبرا تعمل المربيات والمشروبات الوردية . وقد تلطف بستانيهُ وقدم لنا صحفاً من الورد بديعة التنسيق

ثم دخلنا الى بستان البرتقان والليمون والاترج وقد امر الباشا ان يترك قسم كبير من هذا الثمر على الشجر بدون قطف حتى يتمتع الزائرون والمتنزهون بمنظر هذا التفاح الذهبي وهو على اغصانهِ . ويباح لكل انسان ان يلتقط ما يتساقط منهُ تحت الشجر . وهناك شجر الموز كخابات كثيفة واقراطها الكبيرة دانية القطوف . ثم اشجار المشمش والتفاح والرمان والخوخ والبرقوق وغيرها من الاشجار المثمرة وماشي الحدائق مسقوفة بالعرائش ودوالي العنب تتدلى منها عناقيدها المختلفة الاجناس والالوان

واما حدائق الزهور ففيها كل انواع الزهور ذات الرائحة الذكية كالنرجس والفل والريحان وفيها كثير من الازهار الاوربية النادرة داخل كشكات ومقاصف ومقاعد حولها الفساقي والبرك الرخامية وقناورات المياه مظللة بالاشجار والنباتات المتعرشة عليها الرياحين والياسمين

وفي آخر هذه الحدائق وراء القصر كشك من المرمر بديع الصنع حولهُ قصارب النباتات مرتبة بعضها فوق بعض ترتيباً بديع الشكل كأنها هرم من الرياحين والزهور . ولا اظن ان قصر هارون الرشيد في بغداد وبساتينهُ الموصوفة في كتاب الف ليلة وليلة احسن واجمل من هذا القصر ومقاصفهِ وحدائقهِ الغناء . وعند الجناح الغربي على ضفاف النيل كشك آخر مخصص لنزهة الباشا وحرمهِ لا احد يقترب منهُ . وفيهِ بركة عظيمة من الرخام الابيض الاستجام والساحة على دائرها اعمدة من المرمر وفوق كل عمود تاج منقوش بابدع النقوش والزخرفة على النسق البيزنطي . وفي وسط هذه البركة العظيمة تماثيل تماسيح مرمرية تخرج قناورات المياه من افواهها والبركة مسقوفة برخام منقوش تتدلى من وسطهِ وجوانبهِ كريات ومصابيح غاربة ضمن زجاج مختلف الالوان تنعكس اشعتها على مياه النوفرة ليلاً فيأخذ بمجامع القلوب . وفي البركة قارب صغير بديع الصنع مموَّه بالذهب مع مجاذيفهِ لنزهة الباشا وسراريهِ

— العقاربت وعلاجها —

يصعب على الاجنبي ان يحكم على آداب المرأة الشرقية واخلاقها من معاشرة امرأة واحدة ومع ذلك فان ما حدث لي مع جاريتي وجاراتها اللواتي تعرفت بهن من السطوح والنوافذ جعلني ان احكم حكماً عمومياً على اخلاق المرأة المصرية وعوائدها الداخلية

في احد الايام رجعت الى منزلي وصعدت الى غرفة زينب فرأيت فيها ما جعلني في اشد الدهشة والاستغراب . رأيت عجاديل البصل الاخضر معلقة بكثرة على الجدران والاركان وفوق الباب والنوافذ حتى فوق سرير النوم فاستغربت هذا الامر ولا اعلم اذا كان هذا البصل الكريه الرائحة يقوم عند جاريتي مقام طاقات الزهور والورد وهو ليس بحسن الشكل حتى يوضع في الخادع للزينة . فظننت في بادىء الامر انها فعلت ذلك من قبيل تلاهي الصغار . ففي الحال نزعت كل هذه الجدائل والقيتها من النافذة الى حوش الدار وحينئذٍ استفاقت زينب من القيلولة ولما رأتني انزع البصل والقيه من النافذة باحتقار نهضت وقد اشتد بها الغيظ والحنق كليوبترة فقدت اشيالها واوسعتني شتماً وسباً ثم تعوّل غيظها الى بكاء ونحيب ونزلت الى صحن الدار تلتقط البصل المتناثر ودموعها تهطل على خديها ثم صعدت وعلقت البصل كما كان ولسانها لا يكف عن شتمي ولكني لم افهم ما هي انواع السباب سوى كلمة واحدة طرقت سمعي وقد كررتها مراراً وهي « فرعون » فما معنى فرعون في قاموس السباب ؟ فاستدعيت في الحال منصوراً وقلت له ان يسأل زينب عن سبب تزيين غرفتها بعجاديل البصل وما قصدها من ذلك . فاجابت وهي لا تزال تنتحب ان البصل الاخضر يجلب السعد ويطرد العفاريت من البيت ويبعد المصائب عن اهله واني بعملي هذا طردت الخير والسعد وجلبت عليها وعليّ انواع الشرور والشؤم . وقال لي منصور ان تعليق البصل في البيوت عادة شائعة في كل بلاد مصر جلباً للسعد ووقاية من الشرور والمصائب . فقلت له حقيقةً ان البصل كان منذ القدم من آلهة المصريين الاولين فاذا كنت اهنت هذا الاله فاني استعد لترضيته وطلب السماح منه . ولكن ذلك لم يقنع جاريتي واخذت عليّ ان لا امس البصل بسوء . فسألت منصور عن معنى كلمة « فرعون » التي كررتها في ابان غيظها فقال لي انها بمعنى ظالم او كافر . فلم اتمالك حينئذٍ من الضحك والقهقهة . واعجباه لم اكن اعلم قبل الآن ان اسم الملوك المصريين القدماء اضحى في هذا الزمن مسبة وعاراً

وتم الاتفاق بيني وبين الجارية على ان لا تكثر من وضع البصل في غرفة النوم غير ان الاوهام تسلطت على عقلها منذ نزعتُ البصل واعتقدت ان ذلك كان شؤماً عليها وانهُ لا بد ان يصيبها مكروه وفعلاً فانها اصيبت مساءً بحمى شديدة جعلتها طريحة الفراش وعبثاً حاولت ان اقنعها باتباع مشورة الطبيب وشرب الادوية التي وصفها ولم يزدها الخاتي عليها الاَّ عناداً حتى اشتدت عليها وطأة الحُمَّى وصار يخشى على حياتها

وفي اليوم الثالث صعدت الى غرفتها ورأيتها هادئة وقد تركتها الحمى . وعند راسها امرأتان تتمتمان بكلام غير مفهوم وتقرعان طبلاً امامها ولما سألت منصوراً عنهما قال لي ان جارةً استدعتهما لزينب لكي تخرجا العفاريت منها . فقلت وما هي هذه العفاريت قال هي ارواح الشر ومصدر المصائب ثارت غضباً وسخطاً على زينب لانها اهملت البصل ونزعتهُ باحتقار من غرفتها وقال ان العفاريت نوعان الاخضر والاصفر والاخير اشد شرًّا وضرراً

ولما رأيت ان مرض الجارية عقلي وهمي لم ارَ بأساً من ان تعمل لها وسائط وهمية لشفائها حسب اعتقادها . وكانت احدى المرأتين كما قال لي منصور ذات شهرة واسعة بين النساء المصريات في اخراج الارواح الشريرة وطرد العفاريت وشفاء الامراض العضالة بطريقة تعرف عندهن بالزار . فاخذت المرأة كانوناً واشعلت فيه الفحم وذرَّت على النار بعض قطع من الشب حتى امتلأت الغرفة من الدخان وقال منصور ان العفاريت لا يمكنها ان تلبث في المنزل وفيه هذا الدخان الكثيف ثم اخذت المرأتان الجارية ووضعتا وجهها فوق النار وكانت احداهما تقرع على ظهرها وتنشد نشيد طرد العفاريت والاخرى تضرب طبلاً . ولما انتهت الحفلة اضطررت ان ادفع للمرأتين اجرة العيادة او بالحري اجرة طرد العفاريت

ولما كان مرض زينب وهمياً فهذه الواسطة الوهمية جعلتها تعتقد بالشفاء وفعلاً فانها في صباح اليوم التالي نهضت من فراشها معافاةً ومشددة القوى غير انها طلبت مني ان اسمح لجارتيها خاتون وزبيدة ان يأتيا لزيارتها في كل يوم بقصد التسلية فلم ترق في نظري هذه العشرة المفسدة الاخلاق فصرفتهما بالحسنى واوصيتها ان لا تشرفا بعد الآن الاَّ متى دعوتهما عند عودة العفاريت مرةً اخرى

وبعد مضي شهرين رأيت ان هذه المعيشة الشرقية بين جارية كثيرة التطلب والرغائب وبين خدم يخدعونني في مشتري الحاجيات الضرورية زادت نفقاتي زيادة شعرت فيها

بنقصان مالي نقصاناً كبيراً وخشيت ان لا تعود دراهمي كافية لاتمام سياحتي في سوريا ولبنان فعزمت ان اقصر مدة اقامتي في القاهرة . وبعد بضعة ايام قلت لزينب اني عزمت على السفر وذكرت لها الاسباب التي دعتني لذلك . وفي الختام قلت لها واما انت فان شئت الاقامة بمصر فاني اهبك الحرية . فاجابتني جواباً لم اكن انتظره من جارية اسيرة وقالت لي بحدة وغضب . تهبني الحرية ؟ وما تنيلني هذه الحرية ارجعني الى وكالة « الجلابة » وبعني كما اشتريتني . قلت ولكن الا تعلمين يا عزيزتي انهُ من العار ان يبيع اوربي امرأة ويقبض ثمنها . فبدأت تبكي وتنتحب وقالت وانا ماذا اصنع والى اين اذهب . فقلت لها ادخلي الى القصور بصفة خادمة عند احدى السيدات فاظهرت الغيظ والانفة وصرخت . امثلي تكون خادمة في البيوت للكنس والغسيل في المطابخ ؟ كلاَّ والف كلاَّ ارجعني الى السيد عبد الكريم وبعني لهُ فربما يسعدني الحظ فيشتريني احد الضباط او الحكام واكون عندهُ بصفة « قادن » لا خادمة

أليس من الغرابة ان الجواري في مصر يفضلن الاسر على الحرية ؟ ورأيت بعد انعام النظر انها مصيبة في قولها فاذا تنيلها الحرية ؟ هل القيها في الشارع ؟ وعدا ذلك فهي تجهل امور الطبخ والخدمة البيتية ولا تعرف ان تعمل عملاً فاذا اطلقتها الا تكون عرضة لفساد الخلق والآداب . وألا اكون انا بنفسي سبباً لسقوطها في بؤرة الشرور وقيادتها الى اماكن الفساد ؟ ومن جهة اخرى تمنعني ادابي ان ابيعها فقلت لها

اذا كنت لا تودين البقاء في مصر فيجب ان تتبعيني الى بلادي . فاظهرت السرور وصفقت بيديها فرحاً وصرخت . « أيوا انتَ وانا سوا سوا » . فسألت منصوراً عما اجابت فقال . تقول انها ستتبعك الى حيث تريد ولا تفارقك

ولما رأيت ان لا مفر من اخذها معي الى سوريا ذهبت في اليوم التالي لزيارة قنصلي واعلمتهُ بعزمي على السفر ورجوت منهُ ان يسهل لي الوسائط فارسل معي احد القواصة الى مينا بولاق وهناك استأجر لي مركباً نيلياً يقلني في النيل الى دمياط وهي اقرب مرفإ بين مصر وسوريا

ديمتري تقولا